Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحدس والغرض، حين رفضوا نظرية العرب، في أنّ الفصحى هي عين اللهجة القرشية، فقد ذهبوا يطلبونها في لهجات القبائل النجدية، متناسين أنّ شيوع لهجة بعينها لا بدّ أن تقترن به حالة سياسية، أو روحية، أو حضارية، تهيّىء لها هذا الشيوع والانتشار؛ بحيث تصبح لغة الفكر والشعور للجماعة الكبيرة[٥١].

ومن هذا الشيوع اللغوي، امتدّ سبب مفهوم التشكيل البلاغي، في المصطلح، والقيمة، والتركيب، والخيال، والايحاء، من ذلك ما كان من أصول لمفهوم التشبيه في تصوير، وتأثير، وكان على هذه الشاكلة من الحسيّة في التشبيه: الشعر الجاهلي جميعه، فالشاعر يستقي في أخيلته من العالم الحسّي المترامي حوله. وجَعَلهم تمسكهم بهذه الحسية إذا وصفوا شيئاً أدقّوا النظر في أجزائه، وفصّلوا الحديث فيها تفصيلاً شديداً، وكأنما يريدون أن ينقلوه إلى قصائدهم بكل دقائقه، وكأنّ الشاعر نحات لا يصنع قصيدة وإنما يصنع تمثالاً، فهو يستوفي ما يصنعه: بجميع أجزائه وتفاصيله الدقيقة. وخير مثل لذلك وصف طرفة لناقته في معلقته، فقد نعت جميع أعضائها، وكل دقيقة فيها وجليلة. ولم يترك منها شيئاً دون وصف أو بيان... والشعراء الجاهليون يتداولون معاني واحدة، وتشبيهات وأخيلة واحدة، ومن ثمّ تبدو في أشعارهم نزعة واضحة للمحاكاة والتقليد[٥٢].

ولا يعني ذلك إلّا اقتدارهم على التأثير في سامعيهم، بطائفة من المحسنات اللفظية والمعنوية، وأكثرها دوراناً في أشعارهم التشبيه، فلم يصفوا شيئاً إلّا قرنوه بما يماثله ويشبهه من واقعهم الحسّي، فالفرس مثلاً يُشبَّه من الحيوان بمثل الظبي والأسد، ومثل ذلك نجده مبثوثاً في المفضليات والاصمعيات[٥٣].

---

٥١ ـ السابق: ص ١٣٣، وينظر: ١٣٤، ١٣٥.

٥٢ ـ نفسه: ص ٢٢١.

٥٣ ـ نفسه: ص ٢٢٨.